تأليف
الدكتور ضيف سالم

تقديم
فضيلة الشيخ شريف الهواري

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين
الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦
daralkholafaa@gmail.com dar_alkholafaa@yahoo.com
راسلونا على صفحتنا على فيسبوك (دار الخلفاء الراشدين)

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: القُوَّة
اسم المؤلف: الدكتور ضيف بن سالم بن سعد
القطع: ١٢×١٧سم
عدد الصفحات: ٩٦ صفحة
سنة الطبع: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
الطبعة: الأولى

رقم الإيداع
٢٠١٩/٨٣٦٣م

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

تقديم فضيلة الشيخ/ شريف الهواري

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فقد أطلعني أخي الحبيب دكتور ضيف سالم -والد أحفادي بارك الله فيه وفيهم- على هذه الرسالة الماتعة التي عنون لها بـ«**القوة**» وما أحوجنا كمسلمين إلى القوة كأفراد، وأُسر، ومجتمعات، ودول وأُمة بأسرها.

حسبنا أن المؤمن القوي أحب إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف.

حسبنا أننا نحتاج إلى القوة في إيماننا، لنؤدي ما علينا من الواجبات والحقوق.

حسبنا أننا نحتاج إلى القوة في يقيننا، ليكون دافعًا وحافزًا لنا لِتُربط القلوبُ بخالقها، ولِتُربط الأرض بالسماء.

حسبنا أننا نحتاج إلى القوة لضبط أقوالنا، وأفعالنا، وردود أفعالنا حتى لا نستدرج و لانُستفز، فكما في الحديث: «**ليس الشديد بالصُرَعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» [متفق عليه].

نحتاج إلى قوةٍ في توكلنا، وقوةٍ في صبرنا، وقوةٍ في علمنا وضبطنا لانفعالاتنا.

فما أحوجنا إلى القوة. ولعل الدكتور -حفظه الله- قد طوَّف بنا حول هذا المعنى العظيم؛ فندعو الله ﷻ أن ينفع به، وأن ينفعنا به وأن يكون سببًا لقوتنا جميعًا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

مقدمة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصَفيُّه من خلقهِ وخليلُه ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصـدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهـدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فالحقيقة والواقع يشهدان بأنه لا مجال لضعيف في هذا الخضم المتلاطم من الفتن، وكذلك هذا العالم المكتظ بالتحديات.

و لما كان الضعف الشديد مسيطرًا على أمتنا في كل أحوالها؛ كانت الحاجة ملحةً إلى عملٍ كهذا؛ عساه أن يكون إسهامًا منا على طريق عودة الأمة إلى عزها ومجدها وقوتها.

و قد حاولت قدر المستطاع أن يكون هذا الكتاب سهلا في عبارته، واضحًا في أفكاره، مع عُمقِ معناه ومحتواه.

و لم أجعل له حواشي و لا هوامش؛ حتى يكون كالبنيان المتراص، فلا ينشغل القارئ بالنظر هنا وهناك، بل يصرف همته إلى المُضيِّ قُدُمًا في مطالعته دون التفات و لاتوقف.

وما كان من توفيقٍ فهو بحول الله وقوته.

وما كان من سهو أو تقصير أو نسيان فأنا عائدٌ فيه إلى الحق (فالحق أحق أن يتبع).

و اللهَ أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

كتبه

ضيف بن سالم بن سعد

فالقوة القوة يرحمكم الله
فالضعف مرض، والقوة دواء
الضعف نقص، والقوة كمال
الضعف شين، والقوة زين

القوة

تعريفها في اللغة:

قوة: مصدر قَوِيَ.

الجمع: قُوَّاتٌ، قُوىً، قِوىً.

القوة: ضد الضعف.

ورجلٌ شديد القُوى: شديدُ أَسْرِ الخلق.

و تختلف تعريفاتها اصطلاحًا بحسب نوعها.

فعلماء الفيزياء لهم تعريف، والأطباء لهم تعريف، وعلماء النفس لهم تعريف.

أما ما نحن بصدده في هذا الكتاب النافع - بإذن الله - فهو يتناول القوة بمفهومها الشامل: (قوة البدن، والنفس، والدين).

قوة إيمان تبعث صاحبها على معالي الأمور، وتنأى به عن سفسافها.

قوة للفرد والأسرة والمجتمع.

قوة دافعة محركة في الاتجاه الصحيح ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾[الأنعام:١٥٣].

القوة التي يحبها الله ورسوله.

و كل خيرٌ مرهونٌ بعلو الهمة والحرص على تحصيل القوة.

فالأمة في أَمَسِّ الحاجة إلى قوة أفرادها وأبنائها.

وما حدث للأمة من نكبات وتأخر إنما هو ناتج عن ضعفها، وإهمالها لأسباب القوة.

ففي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**». [أبو داود، وأحمد، وهو صحيح].

يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: فالحديث يشير إلى أن الخلاص مما نحن فيه يكون بنبذ هذا العامل، والأخذ بأسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، حتى يعودوا كما كان أسلافهم: «يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة».

وفي الحديث الآخر: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

فالهدف من كلام النبي ﷺ هو تحذير المسلمين من التمادي في حب الدنيا وكراهية الموت، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تنبهوا له، وعملوا بمقتضاه؛ لصاروا أسياد الدنيا، ولما رفرفت على أرضهم راية الكفار.

و لكن يبقى أمامنا العلاج، ألا وهو الأخذ بأسباب القوة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

قال ابن كثير: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ أي: مهما أمكنكم.

فبناء الأسرة والمجتمع يرتكز على تحصيل أسباب القوة.

أو بعبارةٍ أخرى بناء الأمم يحتاج إلى قوة مادية ومعنوية، وبدون اجتماع هذه القُوى جميعًا لا يقوم بناءٌ لأمةٍ من الأمم.

و رحم الله أحمد شوقي القائل:

بالعلم والمـال يبني الناس ملكهم

لم يُـبن ملـكٌ علـى جـهـلٍ وإقــلالِ

فحريٌّ بمن أراد نصرة هذا الدين، وعودة أمجاد المسلمين، أن يركز في خآصَّةِ نفسِه على تحصيل أسباب القوة بشقيها المادي والمعنوي.

و أيضًا كل راعٍ استرعاه الله رعيةً من زوجة أو ولد، مُطالبٌ بأن يأخذ بأسباب القوة في توجيهه لرعيته.

و كذلك من نصَّبَ نفسه، واقتطع من وقته لدعوة الناس إلى دين ربهم، عليه أن يتقوَّى ويتسلح بأسلحةٍ قويةٍ من علمٍ نافعٍ، وعملٍ صالح، وخلقٍ كريم.

وقد كان أنبياء الله ورسله يركزون في دعوتهم على القوة، داعين إلى أن يتمسك أتباعهم بها (مادية ومعنوية)، ومستعينين

بها بعد استعانتهم بالقوي العزيز ﷻ، ومبشرين أقوامهم بها إن تمسكوا بنصيحتهم.

فهذا نوح عليه السلام رغم استهزاء أعداءه به وبدعوته، لم تَلِنْ له قناة ولم تنحنِ رأسه إلا لخالقها، بل هو الذي جعل ينذرهم ويبشرهم بسوء العاقبة، ساخرًا منهم، ومحقرًا لشأنهم وحقَّ له ذلك، فإيمانه وإيقانه بوعد الله ﷻ أعطاه قوةً في وقتٍ قد يظن بادي الرأي أنه ضعيف، فتدبر قول الله ﷻ: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ [هود].

فيا صاحب الدعوة إلى الله ﷻ كُن قويًا في كل أحوالك، قويًا في شأن نفسك، متحصنًا بالعلم الشرعي، ومتقويًا بالعمل الصالح، ومتزودًا بالباقيات الصالحات من ذكر، وقراءة قرآن، وصدقة، وصيام.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كان يصلي الصبح، ثم يمكث إلى منتصف النهار يذكر ربه تبارك وتعالى، ثم يلتفت إلى تلامذته قائلًا:

« هذه غدوتي ولو لم اتغدّ لسقطت قوتي »

كن متفائلا دومًا رغم التحديات التي تواجه دعوتك، سواءٌ كانت تحديات المثبطين، أو الحاقدين أو الظالمين؛ واعلم أن بذورك التي نثرتها ستثمر يومًا ما، ويدنو قِطافُها.

و للّٰه درُّ القائل:

عجبت لهم قالوا: تماديت في المُنى
وفي المُثل العُليا وفي المرتقى الصعب
فاقصر و لاتُجهد يراعك إنما
ستبذر حَبًا في ثرىً ليس بالخصب
فقلت لهم: مهلًا، فما اليأس شيمتي
سأبذر حَبي والثمار من الرب
إذا أنا أبلغت الرسالة جاهدًا
ولم أجد السمع المجيب فما ذنبي؟

فكان نوح قويًا مع كثرة التحديات والصعوبات، فللجميع فيه أسوة حسنة.

وهذا الخليل إبراهيم عليه السلام بلغت قوته الغاية وزيادة. حتى إن الله عز وجل شهد له بذلك: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره العظيم: «فأما الأمة» فهو الإمام الذي يُقتدى به، و«القانت» هو الخاشع المطيع، و«الحنيف» هو المائل قصدًا عن الشرك إلى التوحيد. [ا.هـ كلام ابن كثير]

فقد كان قويًا في نفسه كما جاء في الآية التي ذكرنا آنفًا، وأي قوةٍ أعظمُ مما وصف الله بها إبراهيم عليه السلام.

كان قويًا في دعوته إلى الله عز وجل، فعلى الرغم من كونه وحيدًا إلا أنه وقف لله أمام إمام الكفر والداعي إليه النمرودِ بنِ كنعنانَ قبحه الله.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

فقد كان يؤتى بالرجلين استحقا القتل؛ فيأمر بقتل أحدهما، ويعفو عن الآخر ظانًا أن ذلك إحياءٌ وإماتةٌ.

وهـذا غايـةٌ في ضعـف العقـل وغباوتـه، فهـل هـذا إحيـاءٌ أو إماتةٌ؟!

فالله ﷻ هو المحيي حقيقةً، أوجد كل شيءٍ من العدم، وهو الذي يتوفى الأنفس، ويبعثها بعد أن تصير رُفاتًا وترابًا.

فهو في الحقيقة لا يملك إحياءً لأحد و لا إماتة.

فكان ينبغي على العامة والدهماء من الناس أن يَعُوا غباءه، ويدركوا ضعف حجته، وتهافت كلامه، ولكن أنَّى لعقولٍ استسلمت لعبودية غير الله، وسلمت نفسها للنمرود، أن تُدركَ حقيقة هذا الادعاء؟!

فهو يدَّعي بأنه بقتل أحدهما وعفوه عن الآخر: أنه « يُحيي ويُميت ».

وهنا أدرك إبراهيم عليه السلام ضعف عقول الناس، وأنهم قد ينخدعون بهذا الادعاء، وخاصة أن عقولهم وقلوبهم لم تصل إلى النضج الحقيقي؛ كي يدركوا حقيقة هذا الكذاب الأفاك.

وبسرعةٍ فائقةٍ يدرك إبراهيم خطورة الموقف، وأن بساط الوقت قد يُسحب من تحت قدميه، فإذا به ينتقل إلى مُحَآجةٍ أخرى يقرع بها آذانهم ويُلجم ألسنتهم.

فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، أي: إذا كنت تدَّعي أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت قادرٌ على أن يتصرف في هذا الكون الواسع الفسيح، فإن كان هذا شأنك؛ فهذه الشمس التي تطلع كل يوم من جهة الشرق؛ فأتِ بها من جهة الغرب.

فهنا أدرك عجزه وضعفه، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ أي: أُخرس، فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة.

الله أكبر!! هذا هو إبراهيم القوي الذي استمد قوته من ربه القوي العزيز.

وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله عز وجل أقوياء، يصطحبون حججهم معهم، ويستحضرونها، وبخاصة في هذه الأزمان التي تعالت فيها أصوات أهل الباطل، واختلط الحق بباطلهم، وأصبح التشويش سِمَةً

أساسية لهذه العصور، ولعل ما يتلوها من أزمان يكون حالها ليس بأحسن مما سبق؛ وقد قال النبي ﷺ: « **لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شرٌ منه حتى تلقوا ربكم**». [رواه البخاري(٧٠٦٨)]

وقد كان النبي ﷺ قويًا في هذا الشأن، فقد كان مثالًا رائعًا في قوة الداعي إلى الله ﷻ وفي مُحاججة خصومه ﷺ.

فمع المشركين والمنافقين كانت حجته قوية، وكذلك مع أهل الكتاب اليهود والنصارى، ومع العصاة والمذنبين من أمته ﷺ.

و في البداية نؤكد على أن أسلوب حوار النبي ﷺ سواءٌ ما جاء عن طريق القرآن، أو ثبت بالسنة الصحيحة، كان يسوده أجواء من الهدوء النفسي والسلام الاجتماعي؛ فلم تكُ قوته في الإرهاب الاجتماعي أو النفسي، و لابالصوت العالي.

بل كانت قوته في هدوءه وإقناعه ﷺ، وفي الرد و الإجابة على الحُجة بالحُجة، وجدالهم بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

و قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ:٤٦].

فبعد أن حظي النبي ﷺ بتكريم الله ﷻ له برحلة الإسراج والمعراج، فأصبح يخبر قومه بما أراه الله ﷻ من الآيات الكبرى؛ فاشتد تكذيبهم وأذاهم له.

و هنا قام الكفار يمتحنونه؛ فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس.

و لم يك يراه قبل ذلك، فجلَّاه الله له حتى عاينه، وطفق يخبرهم، ويصفه لهم بابًا بابًا وموضعًا موضعًا، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه، بل قالوا: أما النعتُ فوالله لقد أصاب، فبهت الذين كفروا.

و سألوه عن عيرٍ لهم قادمة من الشام، فأخبرهم بعدد جمالها، وأحوالها، ووقت قدومها،... كان الأمر كما قال ﷺ، ولكن أبى الظالمون إلا كفورًا.

فكانت حجة النبي ﷺ قويةً بتأييد الله له وتوفيقه إياه.

و يستمر النبي ﷺ قويًا في دعوته إلى ربه، مستعينًا بالله، ومبتكرًا أساليب شتى لإنجاح دعوته إلى دين ربه.

فهذا ضِمادٌ الأزدي (من أزد شنوءة من اليمن)، كان يَرْقِي من الجنون والجن والشياطين.

فجاء مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمدًا مجنون، فجاء ليرقيه.

فقال النبي ﷺ: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ومن يهده فلامضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد**»

فاستعاد ضماد هذه الكلمات ثلاث مرات، ثم قال: سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

[من حديث النبي ﷺ رواية أحمد(٢٧٤٩)]

الله أكبر!! تلك هي القوة الحقيقية في الدعوة إلى الله ﷻ.

حركة حكيمة ومستمرة وفي جميع الاتجاهات، مع استحضار الحجج، والأدلة والبراهين.

و لِعَمْرِي تلك هي القوة الحقيقية؛ والتي بها تَقْوى الأمة وتستعيد مكانتها بين الأمم وبخاصةٍ في مراحل ضعفها، فليست أزمتنا أزمةَ مال و لا أشباه رجال فقط، بل أزمتنا الحقيقية في ضعف إيماننا بالله ﷻ، وقلة إيقاننا بما عند الله، وعدم استحضار وقوفنا بين يديه، يومَ يسألنا عن ديننا وعن نبينا:

هل صدقناه؟

هل نصرنا سنته؟

هل دافعنا عن ديننا؟

هل دعونا إلى الله ﷻ بقوة؟

" و هكذا استمر النبي القوي في دعوته، باللين والإقناع مع قوة الدليل والحجة "

و لما جاءه شاب يستأذنه في الزنا، كيف كان موقفه ﷺ؟

فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن فتىً شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه.

فقال النبي ﷺ: «**أُدنه**»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس.

قال: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**».

قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله، يا رسول الله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**».

قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» ...

وجعل النبي ﷺ يعدد محارمه؛ والفتى يجيب: لا.

قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرجه**»؛ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

[رواه أحمد (٢٢٢١١)]

" فتأمل إلى قلب وعقل النبي ﷺ، وكيف أنه استطاع أن يحتوي ذاك الفتى، ولعمري تلك هي القوة الحقيقية!!! "

فيا أيها الدعاة إلى الله ﷻ
كونوا أقوياء في حججكم،
وفي إقناعكم،
وفي تعاطفكم مع المدعوين.

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

فالعاصي كالمريض، بل هو مريضٌ حقًا، مريضٌ قلبه، ومريضٌ عقله، وبالتالي جسده.

و هذا المريض يحتاج إلى طبيبٍ حاذقٍ عطوفٍ حنون.

فداووا أمراض الأمة، وعالجوا ضعفها بدواء القوة

و هذا نبي الله لوط عليه السلام الذي كان يعالج جانبًا من الضعف البشري الذي دبَّ في قومه، واستشرى

فيهم، وأوهن قواهم، ودمر كل معنىً جميلٍ في حياتهم، ألا وهو شذوذ النفس البشرية وضعفها عندما تحيد عن مصدر قوتها، ولما رأى الضعف ازداد في قومه؛ إذا به يفزع إلى مصادر القوة، قائلًا: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠].

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: قال البغوي: أراد قوة البدن، أو القوة بالأتباع.

فها هو نبي الله لوط عليه السلام يقدر معنى القوة، وحاجته إليها؛ فلو كان عنده من أسباب القوة المادية ما يستطيع أن يصرف به أصحاب الشهوات عن شهواتهم وضعفهم لفعل.

لذلك جاء في حديث النبي ﷺ: «**ما بعث الله بعده نبيًا إلا في ثروة من قومه**». [رواه الترمذي (٣١١٦)، وأحمد (٨٣٩٢)]

و الثروة: الكثرة والمنعة.

فالقوة وسيلة وغاية.

طريقة وهدف.

وكانت وصية الله ليحيى عليه السلام أن يتمسك بأسباب القوة: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢].

وكان استحسان ابنة الرجل الصالح لموسى عليه السلام مبناه على القوة: قوة الدين، وقوة البدن ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

وقد حسم النبي ﷺ الأمر كله حيث قال: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف....**» [رواه مسلم (٢٦٦٤)]

والقوة اتصف بها الله ﷻ؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [هود:٦٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢].

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وجعل الله القرآن كلامه المنزل على رسولنا الكريم ﷺ دليلًا على قوته وعزته وجبروته ﷻ فهو كتاب ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾

[البقرة:٢]، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

و مظاهر قوة الله ﷻ كثيرة ومتنوعة، حتى إنه يصعب حصرها وإحصاؤها فهو القوي في ذاته، وفي أسمائه وصفاته، وكلامه قوي، وخلقه وفعله في منتهى القوة.

فالله ﷻ أخبرنا عن قوته وقدرته على ما يشاء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون و قد جاء في تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، أي أنه يأمر به مرةً واحدة فإذا هو كائن، أي أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به، فإنه تعالى لا يُمانع ولا يُخالف لأنه الواحد القهار العظيم، الذي قهر سلطانُه وجبروته وعزته كل شيء، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

فيا ليت بني آدم يقدرون الله حق قدره، ويخافونه ويخشون عقابه؛ فهو القوي القادر على كل شيء، ولكن: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١].

هذا حال بني آدم منهم من كفر وأشرك بالله وأشرك معه غيره، ومنهم من أسرف على نفسه في ارتكاب الموبقات والمهلكات من الكبائر والإصرار على الصغائر.

فيا ليتهم يتوبون، ولقوة ربهم يستشعرون.

وعيبٌ أن تكون العجماوات والجمادات أطوع لله من بني البشر.

فقد أخبرنا الله عن حال بعض البشر أنهم كالأنعام، فهم لا يسمعون الحق و لايعونه، وهذا حال الكافرين.

فالكافرون كالأنعام ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وللأسف ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. [الأعراف:١٧٩]

فالدواب قد تستجيب لراعيها، وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء.

يقول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل].

فمن مظاهر قوة الله الباهرة في هذا الكون أنه يخضع له كل شيء.

ففي تفسير ابن كثير قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله ﷻ.

ووصف الله ملائكته بصفة كمال؛ ألا وهي القوة: قوة في خَلقهم، وفي خُلقهم، وفي عباداتهم، وفي أفعالهم المكلفين بها.

فقد أُذِن للنبي ﷺ أن يحدث عن مَلَكٍ واحدٍ من حملة العرش؛ فقد جاء في صحيح سنن أبي داود، قوله ﷺ: «**أُذن لي أن أُحدث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**». [رواه ابو داود (٤٧٢٧)].

ووصف الله ﷻ جبريل عليه السلام بقوله: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٥].

وقال فيه أيضًا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير].

والملائكة يمتازون بقوتهم في عبادتهم وطاعتهم لله.

فقد قال القوي العزيز في وصف قوة تعبدهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠].

وقد استدل السيوطي بقوله: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ على أن الملائكة لا ينامون.

وأعظم قوة يمتاز بها عالم الملائكة قوتهم وقدرتهم على تنظيم أنفسهم، فالملائكة منظمون في كل شؤونهم، فقد جاء في صحيح مسلم: «**ألا تصفون كما تصُف الملائكة عند ربها**»؟

قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟

قال: «**يتمون الصفوف الأولي، و يتراصون في الصف**». [مسلم(٤٣٠)]

وفي يوم القيامة يأتون صفوفًا منتظمة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢].

ويقفون صفوفًا بين يدي الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ:٣٨].

فما أحوجنا أن نتعلم من عالم الملائكة المعنى الحقيقي للقوة؛ التي تكمن في النظام، وعدم الفوضى التي هي السبب في كل ضعف يصيب الأفراد والأمم.

فالنظام قوة، والعشوائية ضعف...

نظم حياتك، ووقتك؛ تنعم بالقوة الحقيقية

وقد وصف الله أنبياءه ورسله بالقوة...

فالرسل يُعدون إعدادًا خاصًا لتحمل الرسالة، ويصنعون صنعًا فريدًا ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١].

يقول ابن حجر في فتح الباري: «... الأنبياء في خَلْقهم وخُلقهم على غاية الكمال، وأن من نسب نبيًا إلى نقص في خِلقته فقد آذاه، ويُخشى على فاعله الكفر».

فالرسل أكمل البشر خَلقًا وخُلُقًا، وأحسنهم نسبًا، وهذه قوة أعطاهم الله إياها، لتكون عونًا لهم في دعوتهم إلى دين الله ﷻ.

يقول الأشقر في كتابه «**الرسل والرسالات**»: الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لابد منها لتحمل الرسالة، ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

لقد كان رسول الله ﷺ يحفظ ما يُلقى إليه، و لاينسى منه كلمة ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى:٦].

و قد كانوا يَعرضون دين الله للمعارضين ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا المَعْرِضِ أسكت إبراهيم خصمه ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]،

و قال الله معقبًا على محاجة إبراهيم قومه ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [الأنعام:٨٣].

وموسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع.

" والقوة صفة لأهل الإيمان وبها يتفاضلون "

فالمؤمن قلبه قوي، وإنما يستمد قوته من أمور عديدة:

أولًا: قوة عقيدة المؤمن التي هي أغلى وأفضل ما يقتنيه العبد المؤمن.

فعقيدته في الله أنه موجود تجعله يأوي إلى ركن شديد، فهؤلاء رسل الله إنما استمدوا قوتهم في دعوتهم قومهم من إيمانهم بوجود الله ﷻ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم:١٠].

فإيمانك بأن الله موجود يشعرك بالطمأنينة، والراحة، فمهما حاول الضعف أن يصل إلى قلب المؤمن؛ حال دون ذلك اعتقاده وإيمانه بوجود الله الذي يحميه ويحفظه من كل مكر ومكروه وسوء ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

وعقيدة المؤمن بأن الله هو ربه ورب كل شيء تمنحه قوة بل قوىً عظيمة، فإيمان المؤمن واعتقاده بأن الله ﷻ هو خالقه ورازقه ومدبر أمره تمنحه قوة، بل قوىً عظيمة؛ يستطيع أن يواجه بها كل الصعاب.

فالمؤمن القوي لا يخاف إلا الله، ويعلم أنه لا يستطيع أحد أن يضره إلا بإذن الله، و لايستطيع أحد أن يمنع عنه رزقًا قسمه الله له.

قال رسول الله ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب...**». [صححه الالباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٥)]

وهذه قوة استمدها المؤمن من إيمانه بربوبية الله ﷻ.

وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**». [الترمذي(٢٥١٦)، وهو صحيح].

فالله سبحانه وعز هو الخالق، المدبر، المالك حقيقةً لهذا الكون، وهو الرازق.

فمن بديع كلمات الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

توكلتُ في رزقي على الله خالقي

وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي

وما يك من رزقي فليس يفوتني

ولو كان في قاع البحار العوامقِ

وهذا من القوة

وأعظم قوة يحتمي بها قلب المؤمن هي إيمانه وإيقانه بأنه: لا إله إلا الله.

فلا معبود بحق في السماء والأرض إلا الله.

فالتوحيد قوة، والشرك ضعف ووهن.

صرف العبادات لله عَزَّوَجَلَّ قوة، واتخاذ الأنداد ضعف وخَوَر.

فقد قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٥١].

فالرعب سببه الشرك، والرعب في الحقيقة ضعف، بل غاية الضعف، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنصر بالرعب، رعبِ أعدائه منه.

و بمفهوم المخالفة التوحيد سبب للقوة والعزة.

فعلى الأمة أن تحقق التوحيد المُصفَّى من جميع الشوائب حتى تنعم بالقوة الحقيقية.

ففي مسند الإمام أحمد عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة -أراه قال : من صفر-

فقال:**ويحك ما هذه؟**

قال: من الواهنة.

فقال: **انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا.** [رواه أحمد]

وكذلك عقيدة المؤمن في الأسماء والصفات سبب عظيم لتحصيل القوة، فأسماء الله عَزَّوَجَلَّ كلها حسنى وذلك لدلالتها على أحسن مسمى؛ فاسمه الغفور الرحيم يمنح المؤمن قوة في إحسان الظن بربه، وأن باب الرجاء مفتوح مهما بدر من الإنسان.

واسمه الرقيب والحسيب يمنحان المؤمن قوة في مراقبته لله.

واسمه المنتقم والجبار تمنح المؤمن قوة في تسليم أمره لله إذا ما وقع عليه ظلم؛ فالله قوي وقادر على الانتقام ممن ظلمك.

و هكذا...

فعلى المؤمن أن يعتني كثيرا بهذا الجانب، الإيمان بالأسماء والصفات.

ثانيًا: قوة عبادة المؤمن لله هي في الحقيقة سبب لقوة المؤمن.

فانظر إلى سائر العبادات تجد أنها تقوِّي المؤمن.

من صلاة، وصيام، وذكر، وصدقة، وجهاد، وحج.

فالعبادات كما هي تقوِّي القلب، كذلك هي تقوِّي البدن، ففي قصة فاطمة مع أبيها ﷺ عندما طلبت منه خادمًا، قال لها النبي ﷺ: «**ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؛ تسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين، وتكبرا أربعًا وثلاثين**». [متفق عليه].

فذكر الله ﷻ من الأسباب العظيمة لتحصيل القوة.

فيا أيها العبد ! لا تنس نصيبك من الذكر؛ كي تحيا قويًا.

الصلاة مع ما فيها من قوة للقلب وزيادة للإيمان، ومع ذلك فهي تقوي البدن، وجعل الله ﷻ أدائها بقوة والمحافظة عليها سببًا لقوة العبد في الدنيا والآخرة، والقوة الحقيقية تكمن في النجاة يوم القيامة، وتكون بالفوز والفلاح بجنةٍ عرضها السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون]، وختم الله هذه الآيات بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون].

أما عن الصيام وفوائده فحدث و لا حرج؛ فهو يقوي الروح والبدن معًا، و من ذاق عرف.

فما يحصله المسلم من سعادة كفيل بأن يقوي روحه؛ التي بها يَقْوى بدنه، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**للصائم فرحتان**»، [متفق عليه]

فهو يفرح لإعانة الله ﷻ له على إتمام صيامه، وكذلك يفرح بشرابه وطعامه وزوجه بعد أن امتنع عنهم طوال نهار صومه، فتقوى نفسه ويقوى بدنه.

والصيام يربي في المسلم ملكة المراقبة، وخشية الله ﷻ، والخوف من الله هو سبب عظيم لقوة الأمة؛ فخوف أعدائنا منّا يكون على قدر خوفنا من الله.

وقد قال الفضيل بن عياض: إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله.

عبادة الصيام وبخاصةٍ شهر رمضان يعود الأمة على النظام؛ فالمسلم يُمسك في وقتٍ معين، ويفطر في وقتٍ معين وهكذا.

الصيام يجعل المسلم يشعر بجوع الفقراء؛ فيدفعه ذلك إلى البذل والتضحية والعطاء.

الصيام والإقلال من الطعام يجعل المرء في حالة صحية عالية؛ فكثرة الطعام سبب لكثيرٍ من الأمراض التي تعاني منها الأمة، كالسمنة وارتفاع ضغط الدم، ومرض السكري، وتصلب الشرايين، وقصور الشرايين التاجية.

فيا أيها المؤمن كن قويًا بصيام نهارك، وامتناعك عن شهواتك.

وكذلك المؤمن يسعى أن يكون بدنه قويًا، يهتم بنظافته الشخصية، ونظافة مسكنه، ونظافة طعامه وشرابه، فغالبية الأمراض التي تصيب البدن بالضعف ناشئة عن عدم الاهتمام بالنظافة.

قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**طهروا أفنيتكم؛ فإن اليهود لا تطهر أفنيتها**». [رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه الألباني]

فالأمة محتاجة أن يكون أتباعها أقوياء؛ قال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

وقد امتدح الله ﷻ الملك صاحب الجسد القوي، وجعل قوته البدنية من ضمن أسباب اصطفائه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

فاعتنِ بنظافتك؛ فأمتك تريدك نظيفًا طاهرًا قويًا.

فأي أمةٍ ينقصها القوة؛ ينقصها العزة والأمن والاطمئنان.

و إليكم هذه الأمثلة الرائعة من القُوى:

فهذا الحبيب ﷺ ضرب أروع الأمثلة للمؤمن القوى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

ثباته أمام التحديات التي واجهته في بدء نزول الوحي، وانصرافه عن المغريات التي أثارها المشركون في مكة:

فقد حاول المشركون الأوائل بكل السبل أن يصدوا النبي ﷺ عن دعوته، تارةً بالسخرية والاستهزاء: فقد كانوا يحاولون إضعاف القوة المعنوية للرسول وللمسلمين، وقد أكثر المشركون من السخرية والاستهزاء، ومن الطعن والتضحيك، حتى أثر ذلك في نفس الرسول ﷺ كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر:٩٧].

و لكن تأتي المعونة من الله القوي العزيز؛ فقد ثبَّت الله نبيه، وبين له ما يذهب بهذا الضيق؛ فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر].

و نحن في هذا الزمان الذي تعالت فيه أصوات أعداء الله من كفار ومنافقين، وأيضًا – للأسف – من منتسبين لهذا الدين القويم، نحتاج أن نسلك ما أرشد الله ﷻ إليه نبيه ﷺ.

فيا أيها المسلمون؛ وبخاصة الدعاة إلى الله ﷻ كونوا أقوياء أمام سخرية واستهزاء أعداء الله؛ فسبحوا بحمد ربكم وكونوا من الساجدين، واعبدوا ربكم حتى يأتيكم اليقين.

و اعلموا أنكم إن فعلتم ذلك سوف ينقلب الأمر وبالًا على أعداء الله، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام:١٠].

وتارةً بإثارة الشبهات وبث التهم الباطلة: فقد أكثروا من ذلك وتفننوا فيه، فقالوا عنه: ساحر وكاهن، وشاعر أو مجنون.

و كان الله ﷻ في كل مرة يكذِّب كلامهم، ويدحض شبههم.

فعلى سبيل المثال: لما قالوا عنه شاعر وكلامه شعر، قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء].

فهذه ثلاث خصال تكون في الشعراء، والنبي ﷺ لا يتصف بشيء منها. فكيف يكون شاعرًا؟؟!!

و كذلك أهل الحق ينبغي أن يكونوا أقوياء في تفنيد حجج المبطلين؛ وذلك بتحصيل العلم الراسخ النابع من الكتاب والسنة، وبتدقيق الفهم الثاقب، مع متابعة ما يدور على أرض الواقع.

و هذا المطلب يحتاج إلى إعداد جيد وتدريب مستمر للقوى البشرية، ومتابعة لصيقة، وأيدي عطوفة حنونة.

واستخدموا مع النبي ﷺ أسلوب التخويف من الآلهة، وهذا على غرار قول الأولين لرسلهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود:٥٤].

و لكن هل ترى هذا الأسلوب كان مجديًا لمنع النبي ﷺ من نشر دعوته وصده عن سبيل ربه؟

" كلا، فأنَّى لقلبٍ عرف الله وآمن به أن يخاف!!! "

فخوف المؤمن القوي إنما يكون من ربه.

بل بين لهم النبي ﷺ مدى ضعف هذه الآلهة، وأنها لا تستطيع أن تتحرك من أماكنها، و لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شرًا؛ فكيف تستطيع أن تضر المسلمين؟؟!!

قال الله القوي العزيز: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف:١٩٥].

وقال أيضًا: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤١].

و استمر رسول الله ﷺ قويًا في دعوته، لا تُثنيه نوائب الدهر، و لا تقلبات الزمان، و لا يخشى في الله لومة لائم، حتى نصر الله دينه وأظهر أمر نبيه ﷺ.

فلما علموا أن تلك الأساليب لا تُجدي مع النبي ﷺ، تحولوا إلى إغرائه ﷺ تارةً بالمال، وتارةً بالملك، وتارةً بالتزويج.

و النبي يسمع كل ذلك وهو لا يعبأ بما يقولون.

و ما دار بين النبي ﷺ وعتبة بن ربيعة – وكان سيدًا مطاعًا في قومه– خير شاهد.

فقد قال عتبة بن ربيعة في مجلس قومه: يا معشر قريش، ألا أقوم لمحمدٍ فأكلمه، و أعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه إياها ويكف عنا؟ قالوا: قُم إليه فكلمه.

فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وحده، فقال: يا ابن أخي؛ إنك منا حيث قد علمت، من خيارنا حسبًا ونسبًا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، وكفَّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال ﷺ: **قل يا أبا الوليد أسمع.**

فقال: يا ابن أخي؛ إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع به أمرًا دونك، وإن كنت تريد

به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا.

وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه؛ فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه.

فقال ﷺ: **أو قد فرغت يا أبا الوليد؟**

قال: نعم.

قال: **فاسمع مني.**

قال: أفعل.

فقرأ رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣] فهنا وضع عتبة يده على فم رسول الله ﷺ وناشده الله والرحم مخافة أن يقع ذلك، وقال: حسبك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش ! أطيعوني واجعلوها لي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه.

فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم...

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد!

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

فانكسرت أعواد إغراءاتهم على صخرة رسول الله ﷺ القوية الصلبة.

وتستمر مواقف النبي ﷺ التي تدل على قوته، قوة في غير كبر وظلم، بل قوة حكيمة، وهو سيد الحكماء ﷺ، فكان يضع الشيء في موضعه اللائق به.

وهذا ما نحتاجه الآن.

قوة وحكمة

فمع مع كان يتمتع به من حلم وأناة، كانت حكمته تجعله يضع كثيرًا من الأمور في نصابها الصحيح، وما حصل مع كعب بن الأشرف أكبر الأدلة على ذلك.

ففي البداية والنهاية والقصة في صحيح البخاري، وسنن البيهقي وذكرها ابن إسحاق، وفي السيرة لابن هشام: أن كعب ابن الأشرف كان شاعرًا، وقد ناصب الإسلام والمسلمين العداء، وقد غاظه انتصار المسلمين في غزوة بدر، فسافر إلى مكة يهجو النبي ﷺ ويحرض قريشًا على الثأر لقتلاهم، وأنشد في ذلك شعرًا، واستمر كعب الملعون في أذية رسول الله ﷺ بالهجاء، وتشجيع قريش لمحاربة رسول الله ﷺ.

وقال له أبو سفيان -وكان ما زال مشركًا لم يسلم بعد-: أناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟

قال: أنتم أهدى منهم سبيلًا، ثم خرج مقبلًا قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله ﷺ.

بل لما عاد الكافر الفاجر إلى المدينة أعلن معاداة النبي ﷺ، وبلغت به الوقاحة والصلف أن امتد لسانه إلى نساء المسلمين، وشبَّبَ بأم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها زوجة العباس عمِّ النبي ﷺ، فقال فيها:

أذاهـــبٌ أنـــت لم تحْـلُـل بمنقبة

وتـــاركٌ أنـــت أم الفضـل بـالحـرمِ

صفراء رادعـة لو تعصر انعصرت

من ذي القـوارير والحنَّـاء والكتمِ

إحـدى بني عـامرٍ هـام الـفـؤاد بها

ولـو تشاء شفتْ كعبًا من السقمِ

لم أرى شمسًا بليل قبلها طلعت

حـتـى تـبـدت لـنـا في ليلة الظُلَـمِ

فقد بلغ كعب الغاية القصوى في إيذاء الإسلام والمسلمين، وفي التشهير والإيذاء للمسلمات القانتات العابدات، وهذا نقضٌ صريح للعهد، وقد أصبح كعبٌ بهذا مهدور الدم.

ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من لكعب بن الأشرف؛ فإنه قد آذى الله ورسوله؟**»

فقام محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟

قال: نعم.

قال: فأذن لي أن أقول شيئًا.

قال: فأتاه محمد بن مسلمة، **فقال:** إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك.

قال: وأيضًا والله لتملُّنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه، حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وَسقًا أو وَسَقين.

فقال: نعم، ارهنوني.

قالوا: أي شيء تريد؟

قال: ارهنوني نسائكم.

قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟

قال: فارهنوني أبنائكم.

قالوا: كيف نرهنك أبنائنا، فَيُسَبُّ أحدهم، فيقال: رُهنَ بوَسقٍ أو وسقين؟! هذا عارٌ علينا، ولكن نرهنك اللأمة. -**قال سفيان:** يعني السلاح-

فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟

فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة.

قالت: إنما أسمع صوتًا كأنما يقطر منه الدم.

قال: إنما هو محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ بليل لأجاب.

وكان محمد بن مسلمة قد أعد العُدة ورتب الأمور كي تتم مهمته بنجاح واصطحب معه رجالًا لإتمام هذه العملية الخطيرة.

«فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا- أي أطيب.

فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟

قال: نعم، فشمَّه، ثم أَشمَّ أصحابه.

ثم قال: أتأذن لي؟

قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.» [رواه البخاري (٤٠٣٧)]

وانتشر خبر مقتل كعب في المدينة، فأسرع أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ يشتكون ويحتجون على ما فعله أصحاب النبي ﷺ بهم، بل أكد مقتله الذي كان نتيجة لموقفه المعادي، ووقع الرعب في نفوس اليهود جميعهم، فلم يعد أحدٌ من عظمائهم يجرؤ على الخروج من حصنه، واضطر اليهود لتجديد المعاهدة.

" فما أحوجنا إلى تلك القوة التي بها ينزجر أعداء الله من اليهود والنصارى والمجوس "

شجاعة وقوة

من المواقف الرائعة التي حصلت مع النبي ﷺ والتي تدل على شجاعته وقوته وحسن توكله على ربه ﷻ، ففي إحدى الغزوات تبرز قوته فداه أبي وأمي.

ففي البخاري: أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر أنه غزا مع النبي ﷺ قِبَلَ نجدٍ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ و تفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: «**إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟**

فقلت: اللهُ ثلاثًا ولم يعاقبه وجلس» . [رواه البخاري(٢٩١٠)]

قوةٌ في التوكل على الله ﷻ.... نحتاجها في حياتنا المزدحمة بالتحديات، فنحتاج أن نتوكل على الله في جَلْبِ النفع، ودفعِ الضُّرِ.

قوةٌ يقين وصبر عن الأذى وحلم عن الجهال.

قوة شجاعة وإقدام من النبي ﷺ، وجاء في رواية كما بين ذلك ابن حجر في «**فتح الباري**»: «فقال: **تخافني**؟ قال: لا».

وفي جواب النبي ﷺ لما قال له: من يمنعك مني؟

جاء في روايات أنه ﷺ قالها ثلاثًا، وفي ذلك غاية التهكم.

وهكذا ينبغي أن يكون أبناء الأمة أقوياء صامدين، لا تؤثر فيهم شهوة و لاشبهة.

ومن الأقوياء الذين تربوا في حجر النبي ﷺ خلفاؤه الأربعة.

وقوتهم لا تخفى على ذي لب وبصيرة، وفي الحقيقة كل الصحابة أقوياء، قوة في عقيدتهم، وقوة في علمهم، وقوة في عباداتهم، وقوة في أخلاقهم.

ماذا يقول عنهم أعداؤهم؟

تأمل جواب عدوهم والفضل ما شهد به الأعداء

سأل هرقل رجلًا كان قد أُسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم: هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه.

فقال: لئن كنت صدقت ليملكن موضع قدمي هاتين.

ووصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال: جئتك من عند رجال دِقاق، يركبون خيولًا عتاق، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون الْقَنا، لو حدثت جليسك حديثًا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر، فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به.

ما شاء الله!

ما هذه القوة التي تحلى بها

هذا الجيل العظيم؟!

وصدق حسان في وصفه إياهم:

كم من صديقٍ لهم نالوا كرامته

ومن عدوٍ عليهم جاحدٍ جدعوا

أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم

فما وَنَى نصرُهم عنه وما نزعوا

إن قال سيروا أجدوا السيرَ جهدهمُ

أو قال عوجوا علينا ساعةً ربعوا

ما زال سيرهم حتى استقاد لهم

أهل الصليب ومن كانت له البِيَعُ

ولله دَرُّهم!!

هُـمُ الـرجـال بـأفيـاء الجهـاد نموا

وتحت سقف المعالي والندى ولدوا

جِبـاهُهم مـا انحنـت إلا لخالقها

وغـير من أبـدع الأكـوان مـا عبدوا

الخـاطـبـون مـن الـغـايـات أكـرمـهـا

والسابقون وغـير الله مـا قصدوا

فوجودهم كان خيرًا وبركة، وكان سببًا لقوة الأمة

فعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني**».

وإن نسينا فما ينبغي لنا أن ننسى قوة أصحاب الحبيب ﷺ في هذه الواقعة تحديدًا.

إنها حمراء الأسد لمن يريد أن يعرف معنى القوة الحقيقية، القوة التي تأتي فَتَجْرِفُ سيولًا من الضعف، والهزيمة النفسية التي كادت أن تصل إلى قلوب الأصحاب رضي الله عنهم يوم أحد.

فبعد أن انسحب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو؛ ماذا يريدون، وماذا يصنعون؟ إنها قوة النبي ﷺ المعنوية العالية، فهو مستعد لهم لو أرادوا المدينة بِشَرٍّ.

قال ابن إسحاق في البداية: كان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو.

و أذّن مؤذنه: أن لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له.

و إنما خرج مُرهبًا للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، وقد استجاب أصحاب النبي ﷺ لنداء الجهاد حتى الذين أصيبوا بالجروح...

ومما تدمع له العين ويؤثر في النفس مشهد هذين الرجلين من بني عبد الأشهل...

يقول أحدهما: شهدت أحدًا أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أَتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنتُ أيسرَ جرحًا منه، فكان إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عُقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

يا إلهي!! ما هذه القوة التي يعجز قلمي عن وصفها، ولا يستطيع تكييف كُنهها؟!

و سار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، واقترب بجنوده من جيش المشركين، فلم يتشجع المشركون على لقائه ونزاله، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بإشعال النيران، فكانوا يشعلون في وقت واحد خمسمائة نار.

وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فأمره أن يلحق بأبي سفيان، يخذِّله، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟

فقال: محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد نَدِمَ من كان تخلف عنهم من أصحابهم.

فقال: ما تقول؟

فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة.

فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكَرَّةَ عليهم لنستأصلهم، قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك، فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ولم يلبث أن فروا هاربين.

وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوثبة، وقد غسلوا آثار الهزيمة، ومسحوا مغبة الفشل، فدخلوا المدينة بروح قوية، وعبثوا بانتصار المشركين، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود

في المدينة، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران].

" فرضي الله عنهم كانوا أقوياء في كل أحوالهم "

ومن أعظم ما يتمتعون به : قوتهم في كبح جماح أنفسهم، والتغلب على الشهوات التي جُبل عليها البشر، ومن أفظع هذه الشهوات حب الرئاسة والإمارة.

وزهدهم الذي تمتعوا به إنما هو ناتج عن التربية القوية التي تلقوها؛ تربية منشأها كتاب الله ﷻ القائل لهم: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

و كذلك توجيهات النبي ﷺ القائل لعبد الرحمن بن سمرة: «**لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**». [رواه البخاري]

و إنما دبَّ الضعف في هذه الأمة لما حرص أبناؤها على الرئاسة والإمارة، وحب الصدارة في الأمور كلها، قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**». [رواه الترمذي، وهو صحيح]

و لو انتبهنا لهذا الخطر، وتخلصنا من تلك الشهوة؛ لتجنبت الأمة كثيرًا مما وقعت فيه من أزمات على مر التاريخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة**». [رواه البخاري]

و قال ابن حبان في «روضة العقلاء» وأنشدني المنتصر بن بلال:

بـــلاءُ الـنـاسِ مُـــذْ كـانـوا
إلى أن تـــأتـــيَ الـســاعـةْ
بـــحُـــبِّ الأمـــــر والـنـهـي
وحـــب الـســمـع والـطـاعـةْ

فمن قوة أسلافنا في ذلك أنه قد يعزل أحدهم نفسه ويتنازل لغيره لمصلحة أعظم.

كما فعل الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد تنازل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومدحه النبي ﷺ على ذلك.

ففي صحيح البخاري عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». [رواه البخاري(٢٧٠٤)]

ومن ذلك أيضًا: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله، فقال له عمر: ما لي ولك؟ تنح عني، إنما أنا رجل من المسلمين.

ثم سار وساروا معه، حتى دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه، و لاطِلْبة له، و لامشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون، فصاح المسلمون صيحةً واحدة: قد اخترناك، ورضينا بك.

فعمر بن عبد العزيز اعتبر المنصب بلاءً، أما بنو زماننا يحسبونه مغنمًا، وهو في الحقيقة مغرم، ومن لهث وراءه فهو عن الراحة في مَعْزِل.

فهل يقوى أبناء الإسلام على مقاومة هذه الشهوة القاتلة المهلكة لأمر الدين والدنيا؛ كي تقوى أمتنا وتستردَ عافيتها، فالأمر جلل وخطير، والله المستعان.

و مما يقوِّي الأمم، ويوحد صفها الرجوع عن الباطل إلى الحق، ومن البدعة إلى السنة، وعدم الاستنكاف عن ذلك.

فها هو النبي ﷺ لا يتكبر عن عودةٍ ورجوعٍ إلى الحق عندما استبان له ذلك، كما في قصة ذي اليدين رضي الله عنه، فقد سها النبي ﷺ، وصلى الرباعية اثنتين فقط وسلم، فسأله ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟

«قال: **لم تقصر، ولم أنس.**

قال: **بل نسيت يا رسول الله.**

فقال رسول الحق ﷺ: **أحقًا ما يقول ذو اليدين؟**

قالوا: نعم يا رسول الله.

فهل استكبر رسول الله ﷺ؟

فالرجوع إلى الحق قوة وفضيلة، والتمادي في الباطل ضعف ورذيلة».

و قد قال رسولنا الكريم ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**». [رواه ابن ماجه(٤٢٥١)]

وهذا خليفته المرتضى، وصاحبه المجتبى أبوبكر الصديق رضي الله عنه لايستكبر أن يرجع إلى الحق لما تبين له .

فقد جاء في السنن وفي موطأ مالك، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما لك في كتاب الله من شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئًا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس.

فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثلما قال المغيرة.

فأنفذه لها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الترمذي]

فانظر رحمك الله إلى تواضع الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذه قوةٌ في الرجوع إلى الحق.

فكم من متكبرٍ أضعفَ أمته بتكبره، وعدم رجوعه إلى الحق، فتنازعت الأمة، ففشلت؛ فضاعت قوتُها.

وقد بين الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الأمر، ووضحه غاية الوضوح، فقال الله مُحذرًا هذه الأمة من الوقوع فريسةً لهذا المرض العُضال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦].

و﴿رِيحُكُمۡ﴾ يعني: قوتكم.

وهذا عمر رضي الله عنه يقبل الحق، ويرجع عن قوله ورأيه.
مهما كان الأمر، ومهما كان صاحبه الذي أتى به.

فهذه امرأة، وكان عمر مرةً على المنبر، وقد اجتهد رضي الله عنه اجتهادًا، ولم ينتبه إلى آيةٍ في كتاب الله.

فقال عمر: أيها الناس، لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فنهضت من بين أواخر الصفوف امرأة، وقالت: ليس هذا لك يا عمر.

فيسألها: ولمَ؟ فتجيبه بأن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٢٠].

فيبتسم عمر، ويقول عبارته الشهيرة التي صارت مثلًا:

«أصابت امرأة وأخطأ عمر»

وهذا والله من القوة، قوة في الرجوع إلى الحق.

فالحق أحق أن يُتبع

وذات يوم أيضًا وهو على المنبر، وبينما هو يقول: اسمعوا وأطيعوا، وإذا بسلمانَ يقول: لا سمع و لا اطاعة.

فيسأله عمر في لهفةٍ: ولمَ يا سلمان؟

فيجيب سلمان: ميَّزت نفسك علينا في الدنيا، أعطيتنا ثوبًا واحدًا، وأخذت أنت ثوبين.

فهل يبطش به عمر؟، وهل يعنفه؟ أم يعاقبه بحجة عدم إسقاط هيبة السلطان؟

و لا واحدةٍ من هذه فعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولكن عمر ينظر في المصلين، ويحدق النظر حتى يرى ابنه عبد الله.

فيقول: يا عبد الله، من صاحب الثوب الثاني؟

فنهض عبد الله بن عمر وقال: أنا يا أمير المؤمنين.

فيخاطب عمر سلمان والناس يسمعون: إنني كما تعلمون رجل طويل، ولقد جاء ثوبي قصيرًا، فأعطاني عبد الله ثوبه، فأطلت به ثوبي، فيقول سلمان الذي اعترض، وفي عينيه دموع الغبطة والثقة: الحمد لله، والآن نسمع ونطيع يا أمير المؤمنين.

فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجَّاعًا إلى الحق، بل جعل الرجوع إلى الحق قانونًا عامًا تسير عليه دولة الإسلام.

فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: «و لايمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهُديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، و لايبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل».

فما أجمل القوة في الرجوع إلى الحق!

فلا يعرف فضل القوة في الرجوع إلى الحق إلا من عانى من التشبث بالآراء الشاذة، والتصلب الفكري والعقلي، ذاك التشبث الذي أضعف الأمة وأصابها بالوهن.

وعلاج ذلك يحتاج علمًا وعملًا؛ علم نابع من مشكاة النبوة، وعمل بإخلاص لتخليص الأمة وتقويتها، ونبذ خلافاتها، وإيثار مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

ومن بعده ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثالث الخلفاء الراشدين المهديين.

الذي قال عنه النبي ﷺ: «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**».

[رواه الترمذي(٣٧٠١)، وقال"حديث حسن"]

وقال عنه أيضًا: «**عليكم بالأمين وأصحابه**» وهو يشير إلى عثمان. [أحمد (٨٥٤١)]

وبلغ من شدة حب الناس له أن المرأة كانت تنشد لابنها نشيدًا يحكي حب الناس وتقديرهم واحترامهم لعثمان رضي الله عنه، فكانت تقول: (أحبُّك والرحمن حب قريشٍ لعثمان).

كل هذا لم يمنعه من أن يرجع إلى حقٍ استبان له، وخيرٍ ترجَّح وقوعه.

فمن هذه الأمثلة التي تُبرز قوة عثمان في الرجوع إلى الحق:

١- رجوعه عن القول بعدم وجوب الغسل إذا جامع الرجل زوجته دون أن ينزل.

فقد جاء في الصحيحين أن زيد بن خالد الجهني سأل عثمان ابن عفان، فقال: **أرأيت إذا جامع الرجل امرأته فلم يُمنِ؟**

قال عثمان: «**يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره**»، قال عثمان: «**سمعته من رسول الله ﷺ**». [رواه البخاري(١٧٩)]

ولكن بعد البحث والتدقيق تجد أن عثمان قد رجع عن قوله ذلك، فقد جاء في موطأ مالك عن سعيد بن المسيب قال: «**كان عمر بن الخطاب، وعثمان، وعائشة، والمهاجرون الأولون؛ يقولون: إذا مسَّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل**». [رواه مالك في «الموطأ»(١١٣)]

قال أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار معلقًا على رجوع عثمان رضي الله عنه: فهذا عثمان أيضًا يقول هذا، وقد روى عن رسول الله ﷺ خلافه، فلا يجوز هذا إلا وقد ثبت النسخ عنده.

٢- ومن الأمثلة على رجوع عثمان رضي الله عنه إلى الحق بعد أن استبان له: (رجوعه عن رأيه بأن المتوفى عنها زوجها تعتدُّ حيث شاءت).

فقد جاءت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه امرأةٌ من قومه - قد مات عنها زوجها - تسأله عن انتقالها من بيت زوجها

لتعتدَّ في أهلها، وهو لم يكن عنده علم بأن المتوفى عنها زوجها تعتد في بيت الموت - كما يقول شيخ الإسلام - فأذن لها أن تعتدَّ حيث شاءت.

فقد روى عبد الرزاق وغيره: أن عثمان قال لمن حوله: هل مضى من النبي ﷺ، أو من صاحبيَّ في مثل هذا شيء؟!

فقالوا: إن فُريعة - ابنة مالك أخت أبي سعيد الخدري - تُحدِّث عن النبي ﷺ.

فأرسل إليها؛ فأخبرته، فانتهى إلى قولها، وأمر المرأة ألا تخرج من بيتها.

فالثابت عن عثمان رضي الله عنه أنه رجع عن رأيه سريعًا بمجرد علمه بحديث فريعة رضي الله عنها. قال الشافعي: وعثمان في إمامته وعلمه يقضي بخبر امرأة.

وهذه هي القوة الحقيقية

و هـذا عـليٌ الـقـويُ رضي الله عنه ضـرب أروع الأمـثـلـة في تواضعه ورضوخه للحق.

ويتضح ذلك جليًا في فترة خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد حاول مراتٍ ومراتٍ أن يحقن دماء الأمة، ولكن سعى الساعون، وتحرك الحاقدون الحاسدون حتى أوقعوا بينه وبين معاوية، وقدر الله نافذ، و لارآدَّ له؛ فاحتدم الخلاف، واشتد القتال، حتى كان ما تعلمون من إراقة كثيرٍ من الدماء، والله غالبٌ على أمره.

و الحقُّ أن الحقَّ كان مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يقول الشيخ محمد الخضري بك في كتابه "إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء": ومكث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يقصد عليًا) في الخلافة أربع سنين وسبعة أشهرو أيامًا.

أراد الله أن يُذيق الأمة فيها كأس الضر من الاختلاف عليه، لتكون قد ذاقت السراء والضراء، والأخوة والشقاق، فتختار لنفسها ما يوفقها الله له.

وما عليه أهل السنة والجماعة أن نمسك عن ما حدث بين الصحابة في هذه الفتنة، وأن نترضى عنهم أجمعين.

وهكذا استمر الأقوياء من أمة النبي ﷺ؛ يرجعون عن كل ما فيه شبهة انحراف عن المنهج الحق، عائدين إلى الطريق القويم والصراط المستقيم.

ومن أجمل الأمثلة حقًا، وهو مثال عملي حريٌّ أن يُعرف ويُدرس، ما حصل من **أبي الحسن الأشعري** عليه رحمات الله، فقد نشأ في أول أمره على الاعتزال، وتتلمذ فيه على الجُبَّائي، ثم أيقظ الله بصيرته وهو في منتصف عمره وبداية نضجه، فأعلن رجوعه عن ضلالة الاعتزال، والتزامه منهج أهل السنة والجماعة.

فمن جميل قوله: **(قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا ﷻ ، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين و أئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته-، قائلون).**

فرجع عن تعطيل المعتزلة الذين أنكروا صفات الله، وكذلك رجع عن عقيدة الكلابية الذين آمنوا ببعض الصفات وأولوا ما سواها.

فقد صعد منبر البصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته: «**من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني؛ أنا فلان ابن فلان، كنتُ أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالدار الآخرة بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعالهم.**

وها أنا تائب من الاعتزال».

وقد خلع ثوبًا كان عليه، وقال: «**وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا**».

فلله دره! كم كان قويًا في رجوعه عن ما كان عليه من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

فيا ليت من ينتسب إلى الأشعري يقرأ هذا الكلام، ولينظر ما كان عليه أبو الحسن في آخر أمره.

قوتنا في إخلاصنا

الإخلاص هو الأصل والأساس.

وهو نور يكون في قلب صاحبه، ينتشر على جوارحه؛ فينعكس على الفرد، وأسرته، ومجتمعه، وأمته بالقوة.

لذلك كان الدين كله مبنيًا على الإخلاص، و لايُقبل الدين إلا بالإخلاص.

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥].

وقال النبي ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم، وإخلاصهم**». [رواه النسائي(٣١٧٨)، صحيح]

فتأمل كلام النبي ﷺ، فقد أثبت القوة الحقيقية لهذا الإنسان الذي هو في ظاهره قد يبدو ضعيفًا، ولكن تكمن قوته في إخلاصه.

فأخلص لربك يا فتى.

فأمتك تحتاجك قويًا مخلصًا.

" فالإخلاص هو التخلص، والخلاص،

والإقلاع عن حظ النفس. "

وحينئذٍ تستطيع الأمة أن تتقدم عندما لا يهتم أفرادها بحب الظهور، وحب الشهرة، والتصدر في الأقوال والأعمال والمجالس.

حينما يبني كل فرد و لايهدم ما بناه بمجرد تنحيته عن منصبه ومكانته؛ فيأتي بعده من يبني و لايلتفت هل سيُنسب إليه هذا البناء أم لا.

بهذا تزداد قوتنا، وفي هذا تكمن عزتنا.

وهذا الإخلاص بهذه الصورة عزيز وصعب، ولكنه ليس مُحالًا، بل هو يسير على من يسَّر الله عليه.

يحكي فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني -حفظه الله- عن رجلٍ من أهل العلم، فيقول: (لقيت رجلًا من علماء طاجكستان بمكة سنة ١٩٩٦ م، عمره فوق التسعين، وكان معه مجموعة من

تلاميذه، وجرى ذكر ما فعله الروس في المسلمين، وأنهم كانوا يقتلون علماء المسلمين، وهكذا....

يقول أبو إسحاق: سألتُ بعض تلاميذه؛ فقلت: إن كان الروس كانوا يقتلون علماء المسلمين، كيف نجا هذا؟!

فسأل التلميذ شيخه هذا السؤال.

يقول الشيخ أبو إسحاق: فتكلم الرجل وكان كلامه عجبًا.

فهذا الرجل رضي بالحبس الاختياري ستين سنةً.

فلما رأى هذه الهجمة على علماء المسلمين، وخشي أن تجف منابع اللغة؛ وهي المدخل إلى القرآن والسنة؛ عزم بينه وبين نفسه أن يكون جنديًا يحمل هم الإسلام، فكان يدخل قريةً معينة، ويتفق مع أهلها، ويستأجرون له بيتًا، ويمكث في هذا البيت ما شاء الله له أن يمكث، و لايخرج من هذا البيت و لايشعر به أحد، وبالليل أهل القرية يسربون إليه الأطفال، يعلمهم العربية، ويحفظهم القرآن والسنة.

وإذا قضى مهمته في هذه القرية، ومكث في أهلها عامًا أو عامين أو أكثر من ذلك، يتفق مع أهل قرية أخرى، ويتخذ الليل جملًا، ويدخل القرية الجديدة، ويحبس نفسه اختيارًا في بيت من هذه البيوت، ويعلم أطفال القرية اللغة والكتاب والسنة، وإذا قضى مهمته ذهب إلى قرية أخرى وهكذا، وعلى هذا المنوال قضى ستين سنةً من عمره.

سبحان الله!!!

لم ينظر إلى مجده الشخصي، ولكنه كان ينظر إلى محنة أمته، لذلك هان عليه حبس نفسه اختيارًا.

فما أحوجنا إلى مثل هذا الإخلاص!!!

قوتنا في الصبر والمثابرة

الصبر بمفهومه الشامل.

الصبر في كل الأحوال خيرها وشرها.

قال الله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣].

وقال النبي ﷺ: «**وما أعطى الله أحدًا من عطاءٍ أوسع من الصبر**». [رواه ابو داود(١٦٤٤)]

إني رأيتُ وفي الأيام تجربة للصبر عاقبةٌ محمودةُ الأثرِ

وقل من جد في أمرٍ يصاحبه

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفرِ

فعلى الأمة أن تستعين بربها ثم بالصبر كي تقوى، ويشتد ساعدها.

• **صبر على طاعة الله**

فالصبر على الطاعة من أعظم أسباب قوة الأمة.

ففي المرحلة المكية فرض الله قيام الليل على الأمة كلها.

سبحان الله!! يُفرضُ قيام الليل على الأمة في بداية الأمر؛ فتأملوا يا أهل الحق.

• **صبر عن معصية الله**

كصبر يوسف عليه السلام عن إتيان الفاحشة، مع قدرته عليها، وتوافر دواعيها.

ولكن عصمه الله وقواه، وعن مواقعة امرأة العزيز أقصاه، فكان لله الحمد في بادئ الأمر ومنتهاه، والموفق من وفقه الله.

وكان عاقبتَه قوةٌ من الله وتمكين، ورفعةٌ على العالمين: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠].

• **و صبر على أقدار الله المؤلمة**

فأقدار الله كلها خير.

و تأتي الأقدار المؤلمة، والموجعة، والمفجعة لتمحص إيمان العبد؛ فتقويه، ومن الضعف تُخَلِّيه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣].

فعلى الأمة أن تتحلى بالصبر، فالصبر قوة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

قوتنا في المحافظة على كل لحظة من لحظات العمر

الوقت هو رأس مال الإنسان، وهو عمره في هذه الحياة الدنيا، وهو عنه مسؤول.

فللوقت أهمية عظيمة عند القوي المتعال ﷻ؛ لذلك أقسم الله به، واللهُ العظيم لا يقسم إلا بعظيم.

فمن ذلك قوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

بل أقسم بأعظم الأوقات وأشرفها، ألا وهو عُمرُ النبي ﷺ؛ فقد قال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢].

ومن عظم الوقت وأهميته عند الله ﷻ أنه لن يمر العبد من موقف العرض يوم القيامة حتى يسأل عن الوقت؛ فقد صحَّ عن

رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن شبابه فيما أبلاه، عن عمره فيما أفناه، عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، عن علمه ماذا عمل فيه**».

[الترمذي والبيهقي والطبراني و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، والبزار واللفظ له]

وإنما استمد الأوائل قوتهم، وحازوا قصب السبق بفضل الله وتوفيقه لهم في المحافظة على الوقت.

فهذه الساعات التي تُهدر لو استغلها الإنسان، وبخاصة المسلم استغلالًا جيدًا لكانت الثمرة عظيمة.

مما أذكره جيدًا، وما ينبغي أن أنساه ما حدث مع أحد أحبابنا زمن الثانوية العامة، حيث كان في قسم العلمي، وكان يرغب في الالتحاق بكلية الطب البشري، و قد حقق الله له ما يريد.

وكان في زمنه يوجد مادتان للمستوى الرفيع (الأحياء والرياضيات)، وكان ذلك بمثابة مواد إضافية يُحسب مجموعها للطالب إذا حصل على مجموع ٥٠٪ فأكثر، وهذا المجموع

الإضافي كان يعزز موقف الطالب، ولكن كان يوجد تحديات أمام اختياره هذه المواد الإضافية، منها صعوبة هذه المواد، ثانيًا عدم وجود الوقت الكافي لهذه المواد.

ولكن الله ألهمه فكرة، ألا هي، وهو في طريقه في سيارة الأجرة كل يوم ذاهبًا إلى المراجعات النهائية وعائدًا منها يفتح كتاب مادة (الأحياء مستوى رفيع)، وبخلاف ذلك كان لا يوجد وقت تمامًا لفتح هذا الكتاب.

وهكذا يستمر الحال ذاهبًا وآيبًا، حتى كانت ليلة الامتحان، فلم يتمكن من مذاكرة هذه المادة لاشتراكها مع مادة أخرى أساسية في نفس يوم مادة المستوى الرفيع، ولم يتمكن من مراجعتها إلا بين اللجنتين، ولكن استشعر بفضل الله أنه يذكرها، وأن بذله وحفاظه على وقته لم يضع سُدىً، وكان النجاح والتوفيق.

وفي الصحيحين قول الرسول الكريم ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» [رواه البخاري(٦٤١٢)، والترمذي(٢٣٠٤)]

وصدق رسولنا ﷺ في قوله: «مغبون»

فالواحد من هؤلاء يبخل بالدرهم والدينار، وفي ذات الوقت لا يبخل بنفيس وقته أن يضيعه لعبًا وسهرًا، بل وفسقًا ومجونًا، والعياذ بالله.

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم.

ويقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يومٍ غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وهذا ابن أبي حاتم يقول: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنُا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل.

فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام،

وكادت أن تُنتِن، فأكلناها نيئة لم نتفرغ لشويها، ثم قال: لا يُستطاع العلم براحة الجسد.

هذه هي القوة المرجوة، قوة في المحافظة على الوقت، قوة قوية تغير حال الفرد، والأسرة، والمجتمعات؛ فتعود على الأمة بالنفع العميم، والخير الوفير وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فما أحوجَ أبناءَ الأمةِ إلى هذا التغيير الحقيقي كي تكتمل قوتنا، وعلى القائمين بأمر شباب الأمة من والدين، ومربيين، وحكومات أن يهتموا بهذا الشأن، وأن يراقبوا اهتماماتهم، مع توجيهٍ وتصويبٍ لأي خطأٍ يقع.

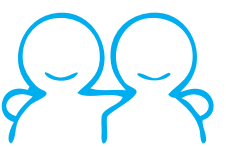

وعلى أبناء هذه الأمة أن يعرضوا عن مصاحبة البطالين وساقطي الهمم ومخالطتهم؛ فالصاحب ساحب، وكل قرينٌ بقرينه يهتدي.

الجـدُّ بـالجـدِّ والحـرمـانُ في الكسلْ

فانْصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غاية الأملْ

ولله الحمد على تمامه، وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

و أن يغفر لي ولوالدي وزوجي وأولادي وأشياخي وللمؤمنين والمؤمنات و أن يعفو عنا جميعًا.

وتم الفراغ منه في ليلة السبت السادس عشر من شهر شوال لسنة ١٤٣٩ من الهجرة المباركة.

وكتبه

أخوكم الدكتور

ضيف بن سالم بن سعد

الفهرس

تقديم فضيلة الشيخ/ شريف الهواري ٣
المقدمة ٥
القوة ٩
قوة وحكمة ٤٧
شجاعة وقوة ٥٢
ما شاء الله! ٥٥
ولله دَرُّهم!! ٥٦
قوتنا في إخلاصنا ٧٥
قوتنا في الصبر والمثابرة ٧٩
قوتنا في المحافظة على كل لحظة من لحظات العمر ٨٢
الفهرس ٨٨

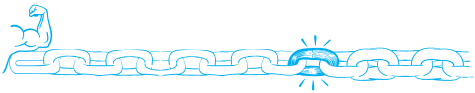

ملاحظـات للقـارئ

ملاحظـات للقـارئ

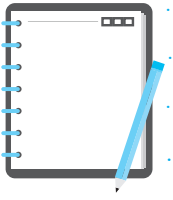

ملاحظـات للقـارئ

ملاحظـات للقـارئ

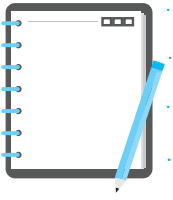

ملاحظـات للقـارئ

ملاحظـات للقـارئ

ملاحظـات للقـارئ

ملاحظـات للقـارئ